الفصل الخامس

نسيج خيوط العش

لم تخل التحقيقات التى تجريها وكالة الاستخبارات البريطانية فى السويد من توسيع « مركز الاتصالات الخاص » فى شارع رايدر .

فقبل المصير السيء الذى حل بالبعثتين المرسلتين إلى ليتوانيا ، وافق كار على أن الترتيبات فى السويد أصبحت غير مرضية ، وأن التدريب فى المستقبل يجب أن يتركز فى لندن . حيث يمكن للمخابرات البريطانية أن تمارس سيطرة كاملة . ولكى تنسجم عملية التوسع .. يجب أن تقسم « إدارة البلطيق » إلى ثلاثة أقسام ويختص كل قسم بواحدة من الدول الثلاث .

وطلب ماكبن أن يتولى لاتفى أو استونى تجنيد عملاء من أبناء جنسه .. على غرار زايمنتس ويشرف على تدريبهم أيضا ، وصادق كارعلى تعيينات ماكبن ، وعكس ذلك الأهواء السياسية لضباط المخابرات البريطانية . وأولئك على الجانب الآخر من المبنى ، فى وزارة الخارجية البريطانية ومنذ سنة ١٩٤٧ ، وفى ظل عملية ويست ورد هو ـ جُندت جماعات من الرجال والنساء من أبناء البلطيق فى معسكرات الاعتقال للعمل فى المناجم البريطانية وكذلك فى مصانع النسيج .. حيث تأثر الإنتاج نتيجة النقص فى العمالة . وكان من بين الجماعات التى وصلت إلى بريطانيا سنة ١٩٤٧ مجموعة من اللاتفيين .. وأثناء الفحص الطبى الروتينى لاحظ الطبيب فى ميناء « هاروتش » وجود « وشم » متطابق فى الشكل تحت ذراع كل فرد منهم .

ولم يكن الطبيب فى شك مما تعنيه تلك العلامات السوداء . إنها علامات استخدمت لتنبه الطبيب ، بفصيلة دم المريض وتحذر أن تلك الفصيلة من أصل آرى نمقى . تستخدم فى عمليات نقل الدم ، وبعد الحرب أصبح الوشم علامة لاتمحى ، وأن حاملها عضو فى منظمة إجرامية .. وممنوع بوضوح من دخول بريطانيا .

وخلال الساعات الأربع والعشرين من اعتقالهم .. احتج سفير لاتفيا فى بريطانيا

« شارلس زاوينس » إلى توماس بريميلو .. وذكر الدبلوماسى أن مواطنيه قد وشموا بالقوة عند اعتقالهم على يد الألمان . وخدموا كعمال لدى الألمان . وقد قبل بريميلو وموظفو الخارجية البريطانية هذا التفسير الكاذب ، ووافقوا على أن الطبيب البريطانى يجب أن يطلب منه أن يركز اهتمامه على المرض ولايهتم بفصائل الدم ؟ وكان السماح لأولئك الضباط السابقين وثيق الصلة بسياسة وزارة الخارجية . ونزل الثمانية آلاف أوكرانى تحت رقابة بريطانيا فى ريمينى .

وأصبحوا أعضاء فى قسم جاليزيان الشهير . الذين سُمح لهم بدخول بريطانيا سنة ١٩٤٧ . وفى ظل التصنيف التقليدى كأسرى حرب ..

وأكدت الحكومة لأعضاء البرلمان الغاضب أن كل الذين وصلوا خضعوا لفحص دقيق واستبعد منهم مجرمو الحرب .

وعلى أى حال .. سمح موظفو الحكومة بعكس ذلك تماماً . وحدث التغيير فى الموقف على يد أ ـ و ـ هـ ـ ويلكنسون ، خبير شئون اللاجئين فى وزارة الخارجية . وفى غضون أربعة أيام فى شهر يناير سنة ١٩٤٧ قال ويلكسون : « إنه لامفر من اعتبار أولئك الأوكرانيين كمنشقين سياسيين . ويجب أن يلقوا كل مايستحقون ويتحولون إلى لاجئين سياسيين أبرياء » .

وحصل بيفن على موافقة اتلى شخصياً . وأن ينقل الأوكرانيين إلى بريطانيا ، رغم كل الاتهامات التى يوجهها زملاؤه بالبرلمان « وأنهم متعطشون للدماء » ، وكان وزير الخارجية متأثراً بالمشاعر القوية التى عبر عنها موظفوه فى الخارجية فى أن الأوكرانيين يجب ألا يستسلموا للروس ، وإنما سيكونون ذوى فائدة للمخابرات البريطانية شأنهم فى ذلك شأن مواطنى البلطيق .

وبعد مرور عامين من ذلك ، وفى عام ١٩٤٩ أنجز هذا التوقع ، وكان من بين الضباط السابقين المدعوين إلى بريطانيا سنة ١٩٤٧ ، الكولونيل الفونس ريبان وهو يبلغ ٤٥ عاما وقد أنهى الحرب الثانية كقائد للفرقة العشرين فى استونيا ..

وفى إبريل سنة ١٩٤٥ كانت تلك الفرقة تحارب الروس فى تشيكوسلفاكيا وهرب ريبان نحو الغرب قاصداً « المنطقة البريطانية » ومعه ألف رجل .. حتى يتجنب الموت المحقق على يد الشيوعيين .

وبعد عامين فيما بعد وصل إلى بريطانيا للعمل فى طاحونة « براد فورد » وفى سنة

١٩٤٩ ، فوجىء أصدقاء ريبان لسماع أنباء عن الكولونيل السابق وقد أعفى من عمله . وتحرك إلى لندن ،وبدا لهم ذلك وضعاً مزدهراً يدعو للحسد .

وبعد عامين .. جنده ماكبن ليصبح ضابطا فى المخابرات البريطانية مسئولاً عن إرسال العملاء إلى استونيا .

وكان لريبان شرطان لقبول التعيين ..

الأول .. أن يعين الجنرال جوناس سودالا ، المفتش العام السابق بالجيش الإستونى . مساعداً له ..وأن يعين ضمن فريقه ، الكابتن فياتو ، وكما شرح السبب .. أن بارتل يعرف المواقع لكل الأعضاء السابقين من فرقته والذين يلائمون العمل كعملاء وهو وسيط ضرورى بينهم . ووافق ماكبن .

وانتهت بذلك حاجة ماكبن إلى رجل من لاتفيا . أيضا بمساعدة من زاريتابس ، ويفسر السفير اهتمام الحكومة البريطانية كدليل على نيتها لتحرير بلاده وهو يسمى .. وولف ساليرجاس الضابط السابق بالقوات الجوية اللاتفية .. وهو الآن بمعسكرات الاعتقال فى بلجيكا .. كمرشح مثالى . فلقد كان ساليرجاس ذا تدريب عسكرى ، وحماسة قومية ، وعداء أعمى للشيوعية ، وهى الصفات المطلوبة للمهمة . وأوصى ساليرجاس باثنين من الضباط السابقين بالقوات الجوية .. والمتلهفين لمواجهة الشيوعيين ورتب ماكبن نقل الثلاثة من بلجيكا إلى بريطانيا .

وسكن زايمنتس ، ريبان ، ساليرجاس فى لندن وعملوا مع ماكبن فى شارع رايدر .

وتحدد للعمليات فى البلطيق اسماً حركياً « الأحراش » واتخذت العمليات وضعاً حرفياً وثابتاً .

ومن أجل الحفاظ على الأمن ، طلب كار ألا يقابله أى شخص من الثلاثة أو حتى يعرفوا مكان وجوده .

ورغم أن ماكبن حافظ وبصدق على توزيع المسئوليات ، إلا أن سكرتيره نيجى كوكيرتون .، ومساعدته نورا راشوود لاحظا العلاقات غير المنسجمة بين ماكبن السهل وكار الصارم وقد عكست نفسها فى أوقات العمل ..

وكانت مشكلات تلك العلاقات واضحة للثلاثة رجال من أبناء البلطيق . ولكن تجاهلوا بالكامل سياسات المخابرات البريطانية ذات السمعة النافذه ، وانشغلوا فى البحث عن عملاء لإرسالهم إلى الخارج . وكان ضابطا المخابرات البريطانية فى نفس

الوقت يخططان لطريق تسلل جديد ..

وكان النجـاح الظاهر لسيفكس وبيرجمانـز وبقائهم أحراراً أقنع كـار وماكبن أن ينزل العملاء فى المستقبل فى لاتفيا بدلاً من ليتوانيا .

وكان أول العملاء الذين وقع عليهم الاختيار لعمليـة (الأحراش ١) هم : فاتيولدز بيركس ، واندريه جالدنز الذين وصلا مع ساليرجاس .

وكان بيركس يبلغ من العمر ٣١ عاما والابـن الأكبر لدبلوماسى لاتفى . وخدم مع ساليرجاس فى القـوات الجوية قبل تجنيده لجهاز المخابرات فى ريجا ، وتـولى مسئولية الاستخبارات السياسية . وفى عام ١٩٤٤ هرب من لاتفيا مع وحدة مخابرات واعتقل فى بلجيكا مع ساليرجاس ، وكان اسمه الحركى فى المخابرات البريطانية « كارنجا » .

اما أنـدريه جالـدنز يبلغ من العمـر ٣٢ عاما وابن لأسرة فـلاحية وقضى الحرب كعضو نشـاط فى قـوات الكوماندو وكان اسـمه الحركى فى المخابـرات البريطانية « ميونيز » .

وأعد بـرنامج تدريب العمـلاء المنفيين ، وكان الفارق العملى هو أن مـدرب العملاء سيكـون فى لندن لتجنب جـذب أى اهتمام لامبرر لـه . وكانـت المدرسة ، فى منـزل من الطراز الفيكتورى مكـوناً من ٤ طوابق فى ١١١ شارع « أولد تشارش » واستـؤجر هذا المنزل من ضـابط إنجليزى مقيم بالخارج . وتـولى الزوجان .. إيدى ومـافيس فلاورز إعداد الطعـام وتقديم الخدمات المنزليـة ، وكان أول من وصل هو بيركس وجاليـدنز فى شهر مايو .. وأعطيا خمسة جنيهات كمصروفات جيب أسبوعياً .

وصدرت لهما بطاقـات شخصية جديدة بأسماء كـاذبة .وفى قاعدة جـورج كوللر تعلما استخدام شفرة موريس والإرسال بالـلاسلكى . وتعلم الرجلان اللاتفيان كيفية إرسال واستقبال الرسائل . وكيف يشفران ويحلان الشفرة فى آن واحد .. وكيف تنتقل الرسائل فى تواريخ محددة بدقة وطبقا لجدول شفرى .. والحفاظ على اللاسلكى ..

وفى الطابق الثانى .. كان جون كـروفتون باسم مستعـار هو « جون الصغير » المشرف على تعليم العملاء « حرفـة الذكاء » وتعلم المتدربون .. وسـائل الرصد وتجنب الرصد والمراقبة .. وتدبير الاجتماعـات دون مراقبة . والتحقق من أن المنزل آمن وكيف تجهز الكيماويات المستخدمة فى الكتابة السريـة . وأعطيت عناية خاصة بالأمن ، وكيف

لايجب أن تكتشف هـواياتهم ولاخلفياتهم حتـى بالنسبـة لجماعات الأنصار . الـذين يلتقون بهم .. كيف يتلاءمون مع المواقف المحرجة والحسـاسة ، وماذا يقولون فى حالة الوقوع فى الأسر .

وأين يصيغون الكلمة الشفرية الحاسمة فى الرسائل بشفرة موريس والتى تكشف أن المرسل واقع تحت سيطرة العدو .

وأثناء التدريب أصبح « ضباط الحالـة » وعملاؤهم أخوة فى السلاح يشتركان على قدم المساواة فى زهوة النصر وفى المعاناة .

وذكـر المتدربـون أن جهـاز الـ « كى ـ جى ـ بى» كفء ومخيف . « ويقطعـون الأنـوف .. واستمع جالنـدز وهـو يغمغم ، يجب أن يزود العمـلاء بحبـوب السيانيـد لاستخـدامهـا عنـد الضرورة » . وحصل المتـدربـون على دروس عمليـة فى الميـدان ، واستخـدام الأسلحة الصغيرة والبنـادق .. بينما الاستعداد للحيـاة كعملاء فى الـريف الروسى حدث خارج العاصمة .

وتـولى الضباط فى قلعـة « مـونكتون » فى السـاحل الجنـوبى .. تدريب الـرجلين اللاتفيين القتال بدون سلاح ، والحياة فى البرية ، والسباحة ليلاً فى ميناء «بورتسموث » والاقتراب الصامت من الشاطىء انتظاراً للقوارب البخارية .

وتلا تلك التدريبات رحلات إلى دارتمور ، سنودنيـا ومرتفعات سكتلاندا لممارسة مهـارتهم الجديدة .. وتحت إشراف كـروفتون ، وتـوجـه الرجـلان إلى المناطق البريـة الموحشة البريطانية وإلى قرى « الضـواحى » للبقاء بعيداً عن رؤية المدربين .. ويتركون الرسائل فى أماكن متفق عليها ويبعثون بالرسائل الشفرية .

وفى أثناء عودتهم إلى لندن فى نهاية سبتمبر ، تأكد ماكبن أن كليهما جاهز للمهمة . وشرح كرفتون ، وساليرجاس يترجم أن المخابرات البريطانية تريد معلومات عن مواقع الجيش الأحمر . وعن الطـرق وعن الموانىء ، وظـروف الحيـاة . والأهم مـن ذلك كلـه الحصول على أدلة تطـور روسيا فى الطاقة الذرية والصـواريخ . والتأكد من اختبارات التفجير السوفيتى للقنبلـة الذريـة فى سبتمبر والتى جاءت من بعدهـا تقاريـر تفيد أن السوفيت أجـروا اختبارات على الصـواريخ فى البلطيق (وثبت أن ذلك أمـر كاذب فيما بعد) .

وكان كـار .. ان تلك المهمة الأولى .. بمثـابة اختبـار يكشف قوة حـركة المقـاومة ، وتأكيداً للثقة .. طلب كار من ماكبن أن يعيد التأكد من العميلين حول أهمية إبداء الحذر فى اتصالاتهم ، ،يجب ألا يضعـا الثقة فى أى شخص حتـى يتأكدا معـاً أن الأنصار غير مُخْتَرقين من الـ « كى ــ جى ـ بى » وعليهم أن يعتبرا نفسيهما ضبـاط لاسلكى وليسا مقاتلين من أجل الحرية .

وكان رأى ساليرجـاس فى عرض المهمة والذى أعلنـه للعميلين أنها مختلفة تماماً . فأثناء أمسيات كثيرة قضى وقتـه يلعب « القمار » ويشرب « السكوتش » مع زملائه فى شارع أولد تشارش .

وتحدث ساليرجاس عن فرصـة تحرير الأمة من الشيوعية بتوجيـه ضربة قاضية إلى أعـدائهم وإسقـاط حكم ستالين ، وقـال سـاليرجـاس فى أكثر من منـاسبـة : « إن الشيوعيين وحشيون ويجب أن نعاملهم بالمثل » .

وعشية الرحيل . . إلى هامـبورج . . رتب سـاليرجاس لقاءً عاطفياً مع السـفير « زارنيس » ومنح فخـامتـه البركـة للـرجلين من طـلائع مستقبل أمتنـا .. وحثهم على الاعتقاد بأن بريطانيا وأمريكا ستحارب قريباً روسيا وستحرر بلادهم .

وإذا أنكر بعض ضباط المخابرات البريطانية أى معرفة ، فيما بعد بتلك النصائح .. فان ماكبن بلاشك ، وربما كار كانـا على عهدهم بتصريحات ساليرجاس غير الرسمية إلى العميلين وشاركوهما نفس المشاعر .

ونادراً ما تتجاوز سياسة الواقع ، تلك الفانتازيا .. وأظهر ماكبن « القوة المحركة » ثقـة عاليـة بنجـاح العملية ، وفى الأيـام السـابقة على رحيـل العملاء .. أعـادوا فحص معـداتهم . وتقـرر .. أن يحمل كل فرد منهم حقيبـة بنية اللون .. واحـدة من الحقائب تحتوى على جهـاز اللاسلكى ، والحقائب البـاقية بها بندقيتين نصف آليـة ومسدسين ماركة « والتر » وذخائر .

وفى حقائب بلاستيكيـة ضد الماء ، ٢٠٠٠ روبل وجوازات سفـر مزورة وفى أجزاء محكمة من الأحزمـة ، يوجد عملات ذهبيـة ومجوهرات . واصطحب « جون الصغير » الرجلين ، وعبر شـاحنة توجهـوا ومعداتهم إلى فـرفورد للطيران إلى بوكبـورج فى ألمانيا الغربية .

أما المسافر الثالث ، وهو ليتوانى .. لحق بالرحلة فى فوفورد إلى روسيا .

والتقى العملاء الثلاثة ، ومسئولهم البريطانى فى بوكبورج مع ضابط اتصال المخابرات البريطانى الشاب « أنتونى كافيندش » وفى الأيام السابقة على وصولهم ، انتقل كافيندش إلى فيلا واسعة فى هامبورج ، فى ضاحية على الطراز القديم .

وفور ، أن فحص فريق المخابرات البريطانية المسئول المنزل ، وجهزوا العقار للضيافة . حتى تحولت « السندرة » إلى مركز للاتصالات على يد خبراء المخابرات البريطانية .. وكانت مهمة كافيندش رعاية العملاء الثلاثة حتى يصل الخبر من كلاوس بأن ظروف الإبحار ملائمة . وكان تلقى تلك الأنباء من مسئولية ضابط الاتصال البحرى « أنتونى كورتى » واحتاج العملاء الثلاثة إلى الترفيه ودون المخاطرة بالأمن ودون السماح لهم بفرصة إطالة الفكر فى خطورة مهمتهم .

وكان الحل الذى قدمه كافيندش . هو التدريبات الرياضية ويعقبها ممارسة بعض الألعاب .

وفى الأمسية الأخيرة ! وهو ماأصبح تقليداً .. دعى كافيندش العملاء الثلاثة وجون الصغير إلى عرض جنسى ، فى منطقة ريبرهام ذات الأضواء الحمراء .

وبعد شراب مفرط للبراندى .. غادر كافيندش . ووافق على أن يعود الرجال الباقون إلى الفيلا ، كل « بطريقته » .. وفى الساعات الأولى من الصباح ، نهض كافيندش على أصوات طرق على الباب وكان بيركس جالدنز ، قد عاد فقط .. أما جون الصغير والليتوانى فقد تورطا فى مشاجرات فى البار وألقى القبض عليهما . وقضى كافيندش بقية الليل مؤمن إطلاق سراحهم وعمل فى اليوم التالى على إقناع نفسه أن المهمة لم تنكشف .. رغم حماقتهم فى ظل الإفراط فى الشراب وانتظرت المجموعة فى مناخ قاسى حتى أكد كورتنى أن الزورق (س ٢٠٨) جاهز للرحيل .

وفى الرابعة صباحاً ، من يوم ٣١ أكتوبر ، صعد بيركس ، جالدنز على ظهر مركب « حماية المصايد » فى كيل وتوجه إلى أسفل السطح .. وكان كلاوس فقط هو الذى يعرف أين ينزل العميلان فى لاتفيا . وفور استلام رسالة قصيرة من هامبورج تأمر بالمسير ، أبحر قاصداً شاطئاً منعزلاً فى غرب فينتسلبز .. وعندما هبط بيركس وجالدينز على الشاطىء لم تكن الـ « كى ـ جى ـ بى » تعرف شيئاً عن وصولهم ..

وبناء على توجيهات ساليرجاس .. دفن العميلان الحقيبتين فى الغابة ، بعيداً عن الشاطىء ، وقصدوا طريقهم ليلاً إلى منزل الأب فاليدس أمولس . ذلك الراعى الذى

يعده تيبطرس من أكثر الناس مدعاة للثقة من بين من يتصل بهم .

وكان ساليرجاس وماكبن .. مقتنعين بجدارة الأب فاليدس بالثقة ، ولكن ثقتهما لم تكن فى محلها ..

حيث وقع القس فى الشرك الذى أعده لـه سيفكس دون أن يدرى منذ عام مضى .. وسقط فى عش الـ « كى ـ جى ـ بى » ..

وعنـدما بـادره بيركس بكلمـة السر «هل يمكن أن أشترى شيئا من البيرة هنـا؟ » أشـار القس على الفـور للعميلين بناحيـة البـاب . وقـــال بيركس « نـريـد أن نتصل بالأنصار » وكان أمـولس يعرف عن اتصال أعده سيفكس مع أوجستس بيرجمانس فى ريجا .

وفى اليوم التالى . وبعد نصيحة العميلين عن أفضل الطـرق لسلوكها . قرر أمولس أن ينبه سيفكس لـوصولهم . وهكـذا انفك أمانهم قبل وصـولهم إلى ريجا .. ذلك الأمان الذى تدربوا عليه جيداً فى لندن .

وفوجىءأوجستس بيرجمانس بطـرقات غير المتوقعـة على الباب فى شقة بـالطابق الخامس فى ٥ نوفمبر سنة ١٩٤٩ .

وكانت دهشتـه .. أكبر ، عندما شرح لـه الزائران أنهما قـادمان توا من السـويد . وأنهما أسقطا من مركب سريع منذ خمسة أيام مضت وأنهما جاءا للاتصال بالأنصار فى الغابات ويبدآن فى إنشاء شبكة مخابرات جديدة .

وقدم بيرجمانس لضيوفه بعضاً من الفودكـا ودعاهما للبقاء فى شقته حتى يؤمن لهما الإقامة بمنزل آمن .

وفى اليوم التالى ، وفى أثناء تقديم الطعـام الفاخر ، غادر بيرجمانس الشقة واتصل مع لوكاسيفكس وقال له : « إنهما يعيشـان فى راحة ويشعران بالأمان فى المنزل ويمكن أن يظلا لبعض الوقت . ولكن لايستطيع شخصياً أن يحافظ على الأمان لوقت طويل ..

ولاحظ العاملون فى الإدارة الثانية للـ « كى ـ جى ـ بى » أن القائد تتلألأ عيناه فى ذلك اليوم على نحـو غير عادى .. وفى الاجتماع الذى تـرأسه الجنرال فيفـرس فى شارع لينين . تقـرر أن يجهز منـزل آمن ليقيـم فيه العميـلان الـلاتفيان ويمكن مـراقبتهما بسـهولة .

وكان ذلك شاغلاً لعدة أيام قبل أن يعود لوكاسيفكس ليشكو إليه أن العميلين غير مرتاحين .

وقال .. مسئول الـ « كى ـ جى ـ بى » إلى فيفرس : إن مشكلتنا ماذا سنفعل مع العميلين الخاضعين للمخابرات البريطانية والمتلهفين لبدء العمل ..

وطلب لوكاسيفكس التجهيز لعملية خادعة ، ولكن ذلك يتطلب وقتاً ، وقد طلب بيرجمانس ، ومن بعده سيفكس ، الذى تعرف على العميلين مؤخراً .. من لوكاسيفكس أن يفعلوا شيئاً مافوراً مع هذين العميلين .

وشرح بيركس .. أن هذين الرجلين .. هما أول موجة من العملاء على وشك الوصول من بريطانيا وحتى من أمريكا .. ويصر كليهما على أن يذهبا للقاء بعض قادة الأنصار . وواجه فيفرس مشكلة وتحدياً .. وكان عليه استرجاع تعاليم درجينتسكى . ويعد لعملية مزدوجة ومتقنة وتتطلب تنظيما محكماً وتزامنا فى التوقيت محكم من قبل الأنصار .

واذا وقع بيركس والمخابرات البريطانية فى الفخ بوضوح ، فـــإن الـ « كى ـ جى ـ بى » .. عليها أن تشكل مجموعة من الأنصار .. تكون أنشطتهم وشخصياتهم مقنعة بالكامل لبيركس وجالدنز ويعتمد النجاح على اختيار العملاء القادرين على الحياة جسمانيا فى الغابات الموحشة ويتحملون الخداع .

وتتطلب العملية تمويلاً ضخماً ولكن فرصة النفاذ إلى قلب المخابرات البريطانية يجب ألا تمر .

وبعد مشاورات تفصيلية مع كرجلوف فى مسكو .. والذى قيل فيما بعد أنه عرض تقريراً بالموضوع على ستالين ، وافق على العملية « الخداعية » والتى أخذت اسماً حركيا وهو عملية « لارسن س » وأشرف على تلك العملية لوكاسيفكس والميجور ألبرت بوندوليس .

وكان بوندوليس قوى البنية ، شيوعياً ثورياً التحق بالـ « كى ـ جى ـ بى » أثناء الحرب ، بالمقارنة مع لوكاسيفكس الذى كان ضابط أمن عملى ، وأيضا محباً للنساء وللحياة الطيبة ولم يكن كاسيفكس مخططاً استراتيجياً .

وقرر فيفرس أن يتولى كاسيفكس توجيه العملية من الإدارة بينما يصبح بوندوليس قائداً لمجموعة الأنصار « الوهمية » وتعيش فى غابات كورزيم ، وتحت اسم

حركى « ماكسس » وبسرعة ملحوظة ، اختار كاسيفكس وبوندوليس ستة من ضباط الـ « كى ـ جى ـ بى » ذوى الخبرة فى حرب الأنصار فى الغابات ، ليصبحوا أعضاء فى مجموعة « ماكسس » .

وخلال شهور الشتاء المتبقية ، اخترع الضابطان المشرفان على العملية مع كل فرد من « الأنصار » قصة مقنعة عن حياة كلٍ . خاصة عن نشاطات كل فرد بعد الحرب . وتجنبوا أدنى إشارة طفيفة تنم عن التناقض .

وفى بداية فبراير .. وبينما بيركس وجالدنز يتلقون تأكيدات مستمرة أن الصعوبات فى إقامة اتصال مع الأنصار على وشك التغلب عليها تقريباً .

وتوجه كل فرد .. من الأنصار .. فى ظل حراسة إلى غرفة لإحدى اللجان فى قيادة الـ « كى ـ جى ـ بى » . حتى يختبرهم بقوة فيفرس ، لوكاسيفكس وبوندوليس وسافر « كرجلوف » خصيصاً من موسكو حتى تيراس الجلسات وفور أن ذابت الثلوج الكثيفة .. توجه المهندسون إلى توكوم فى غابات كورزيم .. وكان الموقع الذى وقع عليه الاختيار .. هو خط المواجهة الأخير بين فيرماتش والجيش الأحمر . وحفروا على الطبيعة خنادق عميقة وتحيط بها المستنقعات ويمكن لمجموعة .. ماكسس .. أن تزعم وعلى نحو يدعو للإقناع أنهم قضوا السنوات الأخيرة .. مختبئين عن الشيوعيين .

وفى نفس الوقت ، تولى سيفكس إقناع بيركس ، المقيم فى منزل لرجل أرمل فى ريجا ، أنه اتصل بقائد مجموعة ماكسس وأنه لمن الخطر تماما ، على قائد الأنصار أن يغادر الغابة حتى تذوب الثلوج لأن قوات الأمن ستلاحظ وبسرعة آثار الأقدام . وتأكيداً للمخاطر .. فإن المفتشين فى كل مكان وكان ذلك أسلوب سيفكس المفضل للإخضاع والسيطرة على عميلى المخابرات البريطانية القلقين باللعب على مخاوف وأعصاب العملاء وسيصبح ذلك أداة الـ « كى ـ جى ـ بى » فى التحكم فى أولئك القادمين لتحرير بلادهم .

ووافق بيركس ، مرغماً ، على أن ينتظر حتى الربيع ، وأرضى نفسه بطلب المعلومات الصناعية والعسكرية ، والتى يمكن أن يمررها إلى لندن إما بالرسائل المعتادة والتى ترسل باللاسلكى وفى خطابات ترسل إلى بلجيكا وفرنسا والسويد .

ومن المثير لأى شخص ، أن يضطر بيركس إلى كتابة اسمه المرسل على المظروف ، طبقاً للقوانين السوفيتية ، واستخدم أسماء من التى تظهر فى إعلانات الطلاق فى الصحف اليومية . وأرسل إلى لندن مستخدماً اسماً حركيا هو ... ولف ... وقال : إنه

يواجه بعض المشاكل . إلا أنه يثق فيمن اتصل بهم ، وكانت شكواه الأساسية تنصب على أوراق هويته ، وأنها بدائية جداً ..

وفى الثانى من مايو .. انتهى انتظار بيركس .. حيث وافق قائد مجموعة «ماكسس » على موعد لقاء فى حديقة عامة . وقد أخبره سيفكس بذلك ..

واتخذت إجراءات دقيقة حتى يمكن مراقبة بيركس . وارتدى بيركس معطفاً أزرق ولم يرتد قبعة ، وانتظر بين الأشجار حتى الموعد المحدد .

وفى الموعد .. اقترب بوندوليس من بيركس ، وتبادلا كلمات السر وبعد نقاش قصير ، وافق بوندوليس على تقديم عميل المخابرات البريطانية إلى فرقة الأنصار يقودها « جاريس » .

ويحتاج انتقالهما إلى الغابات سرية قصوى .. وقال له بوندوليس : سيلتقطك أحد أعضاء الفرقة فى شاحنة بالقرب من شارع جوركى . وستكون المقطورة مملوءة بصناديق السمك الفارغة .. وسيختبىء كلاكما فى داخل الصناديق طوال الرحلة .

وبعد ظهر يوم ٣١ مايو ، وبعد ساعتين تقريبا من السير على الأقدام . توقف بيركس ، وجالنز فى وسط الغابة . وتحت الأشجار الكثيفة اختبىء أربعة من الأنصار ومن بينهم .. أرفيتس جاليتس « جاريس » والذى خدم ضمن الفيلق اللاتفى ضد الروس أثناء الحرب .

وقد قضى الأربعة ثلاثة أسابيع فى الغابة حتى يتأقلموا مع البيئة . وعند إشارة من جاليتس ظهر أربعة من رجال مسلحون ، كانوا مختبئين وحيوا القادمين الجدد الذين عبروا على الفور عن امتنانهم للأنصار عن السرية المتقنة .

وكانت استراتيجية لوكاسيفكس تعتمد على الصبر .. وأخذ .. الأنصار .. بيركس ، وجالدنز عبر ثلاثة مستنقعات حتى يصلوا إلى المعسكر فى المخابىء ، حيث سيمكثون أطول مدة لازمة لإقناعهم بإخلاص الأنصار .

ويتطلب ذلك بعض الوقت .. حيث يباشر كل من الطرفين تقييماً نقدياً لمن يعاشرونهم .

وكانت العملية أكثر صعوبة على نحو واضح بالنسبة للمضيفين والذين يخشون أية زلة واحدة يمكن أن تكشف المؤامرة .

وعلى الجانب الآخر ، عرض بيركس برهانا بسيطاً .. وقال : لها إعطونى اسم أغنية شعبية تفضلونها وتقدمها لكم إذاعة الـ « بى ـ بى ـ س » الدولية وإلى من تهدونها .. ويكون لكم ذلك .. ودهش .. عندما ازدرى الحاضرون العرض وقال له جاليتس : نحن نعرف من أنت ونثق بك ، وحكم عملاء الـ « كى ـ جى ـ بى » من جانبهم على بيركس أنه شخص ذكى وقوى ذو فكر واهتم بالأساس أن يبدأ بجمع الموجودين حوله .. وأظهر ثقته .. وذكر لكل فرد من الأنصار بالتفصيل عن خلفيته وليس من عادته الارتباك عن أى سؤال مفاجىء حول نقطة محددة .. وقد تعرض لسؤال بعد شهرين عندما حكى عن موضوع معين .. وقيل له مع من سرقت هذا البنك . وفوق كل ذلك كان بيركس يستمتع بلعب الشطرنج وأداء لعبة الورق .. والتى علمها لكل المجموعة .

أما جالدنز فكان أكثر قلقاً ومتوتر الأعصاب ، ويمارس روتينا يوميا مملاً ينظف الأسلحة . ويأكل وينام .. وأحيانا يعوق نومه الإرسال باللاسلكى . ويصبح عصبياً بسهولة .. وقال عنه جاليتس « وعلى وجه خاص .. جالدنز .. دائماً شكاك » ، وذلك فى تقرير بعث به إلى مسئوليه فى ريجا .

وينفعل جالدنز تجاه أية ضوضاء تنبعث من شجرة تحترق فى الغابة . خشية أن تكون جاسوساً من الـ كى ـ جى ـ بى .

وكثيراً ماحذر جالدنز المجموعة بأن المفتشين الروس مهرة جداً .. وعليهم ألا يتركوا أية آثار لهم بعناية ، وأن تكون هناك حراسة دائمة .. ويوفى كل فرد من الموجودين لمواقفه .. ويؤكد جاليتس أنه من الأفضل ألا يغادر الغابة ويعتمد على الأنصار فى جمع الاستخبارات والحصول على الطعام ..

ووافق جالدنز .. ولكن آثار سخطه على هذا الوضع لفقدان الحركة مجادلات بينه وبين بيركس الذى يهتم أكثر بإرسال الاستخبارات إلى لندن وتدريب مشغل للاسلكى جديد ..

واختار بيركس واحداً من بين الأنصار هو .. كازيماس كيبورس « كمتدرب مثالى » فهو يبلغ من العمر ٢٤ عاما وقد فسر بيركس دوافعه لعداء الشيوعية وقال « قبل الحرب كان والدى نائباً لرئيس البوليس وحكم عليه بالسجن لعشرين عاما من قبل الـ « كى ـ جى ـ بى » ومنذ أن أرسلت والدتى وأختى إلى سيبيريا فى حملات التهجير الجماعى فى العام الماضى ، هربت إلى الغابة .

وخلال ثلاثة شهور .. علم بيركس « كيبور » تكنيكات « الشفرة ونقلها ، وبفضل ذلك وفى نهاية الفترة أصبحت سرعة التلميذ تصل إلى ستين رمزاً فى الدقيقة .

ولم يكن بيركس يدرى ان كيبورس يتقن معدل ١٢٠ رمزاً فى الدقيقة بفضل تعليمه فى مدرسة الـ « كى ـ جى ـ بى » فى موسكو أثناء الحرب . وفى أكتوبر سنة ١٩٥٠ بعث بيركس بإشارة إلى « جابرييل » وهو الاسم الحركى لسيالدجاس فى المراسلات الشفرية ليقدم له مشغل اللاسلكى الجديد .. وبعد سلسلة من الاختبارات ، وصلت موافقة من لندن وتقول « إن مشغل اللاسلكى يبشر بآفاق طيبة » ، مع عرض أن يصبح كيبورس عميلا كاملاً للمخابرات البريطانية بمرتب عشرين جنيها استرلينيا فى الشهر . وكان المرتب المعتاد ، وسيودع المبلغ بانتظام فى حساب بأحد بنوك لندن وحددت المخابرات البريطانية اسماً حركيا لكيبورس هو « ليوقا » أو بالأسد » ودعى بيركس للاحتفال بتلك المناسبة على زجاجة فودكا . وعندما أتى الكحول بمفعوله .. وضع بيركس يده على ظهر صديقه واعترف له بأنه خلال الأسابيع الأولى شك فى أن الانصار هم ضباط الـ « كى ـ جى ـ بى » وضحك كلاهما .. وشربا نخباً آخر .

ولم تكن برودوى متأثرة بالنتائج التى حققتها المجموعة .. واشتكى المحللون البريطانيون من أن المعلومات هزلية وتتضمن معلومات عن أنواع الطائرات ، والظروف الاقتصادية ومعدلات الإنتاج فى المصانع الاستراتيجية وصوراً لشخصيات من الحكومة وموظفى الحزب وأماكن معروفة لانتشار القوات فى المنطقة ، وكشف الخبراء فى لندن أن تلك المعلومات ربما تكون غير دقيقة .. بالرغم من أن تلك المادة التى أرسلت من لاتفيا .. ضمنت ملخص الاستخبارات البريطانية الذى يعرض بانتظام على رئيس الوزراء ووزارة الخارجية .

وكان فيفرس أيضا مهتما .. بفقر نوعية الاستخبارات التى سلمها لبوندليس ، ولكن عموماً كان هناك قيداً فى موسكو للإفراج عن تلك المعلومات وحتى لمجرد الحفاظ على عملية هامة ومسموح فقط بتغذية لندن بالمعلومات المنشورة فى الصحف لأنه حتى المعلومات الخاطئة « السرية » ستثير شكوكاً وخيبة أمل . وكان طموح ماكبن وساليرجاس يعتمد على بيركس و إرساله استخبارات أفضل حتى يوسعا من العمليات .

وقوبل طلب بيركس من الأنصار لمزيد من الاستخبارات بالرفض القاطع وقالا له جاليتس وبوندليس : « إننا نريد مساعدة من الغرب .. وليس العكس من ذلك .. » .

وكانا فى ذلك يعكسان تعليمات تلقوها من لوكاسيفكس عبر عميل للـ « كى ـ جى ـ بى » وله منزل يقع على بعد أربعة كيلو مترات من المعسكر وكان يُرى غالباً وهو يتجول فى الغابة .

وأجاب بيركس « المساعدة تعطى لمن يساعدون أنفسهم »

وكان الصراع من أجل البقاء فى الغابة .. حصنه تدريجياً ضد الواقع .. ولكن تغير ذلك على نحو حاد عندما وصلته صحيفة فى يناير سنة ١٩٥٠ أعطاها له جاليتس وجاء فيها أن الحرب قد اندلعت فى كوريا وقد شرح جاليتس الأمر بقوله .. تلك هى الحرب العالمية التى توقعها الجميع وستنتهى بهزيمة الشيوعية « وسترسل المخابرات البريطانية المزيد من المساعدات » .

وبينما كان بيركس وجالدينز فى الغابة .. كان الرجل المسئول عنهما وعن مصيرهما « هارى كار » يعبر الأطلنطى على متن أفخر السفن « كوين مارى » وكانت تلك أولى رحلات كار إلى الولايات المتحدة ، وكان مينزيس ، قرر أن تنسق المخابرات البريطانية على نحو أوسع فى شأن عملياتها السوفيتية مع المخابرات الأمريكية الـ « سى ـ أى ـ ايه » . وخاصة منذ التعاون الوثيق فى ألبانيا والذى أثبت فائدته الكبرى .

وفى ١٤ أبريل سنة ١٩٥٠ أصدر مجلس الأمن القومى توجيها جديداً (رقم ٦٨) والذى أمر فيه المخابرات الأمريكية بشن هجوم مضاد ، غير عسكرى ضد الاتحاد السوفيتى وبتشجيع القلاقل والتمردات .ومرة أخرى .. تأثر ضباط المخابرات الأمريكية بالنص الحرفى للتوجيه وبالأحداث وكذلك بالحرب فى كوريا .. وفى ذلك الظرف الطارىء تطلعت الوكالة إلى المخابرات البريطانية كحليف مخلص ومؤهل .

وكان كار يمثل عند المخابرات الأمريكية نموذج وتقاليد وكفاءة الوكالة « البريطانية » .

وكان من بين أوائل المرحبين بكار فى واشنطن ، مسئول المخابرات البريطانى المقيم فى واشنطن كيم فيلبى . وكان الاثنين قد أصبحا صديقين بين عامى ١٩٤٥ ، ١٩٤٧ عندما كان كار يبنى شبكة العمليات الشمالية . وكان فيلبى مسئولاً عن القسم التاسع . وفى خلال العامين الذى خدم فيهما فيلبى فى تركيا لم تتقاطع طريق الرجلين ، حتى ترقية الجاسوس ووصوله إلى واشنطن فى أكتوبر سنة ١٩٤٩ .. وكان فيلبى يحس بخيبة أمل تجاه كار .. لان ولع كار بالسرية قد حد من كمية المعلومات التى حصل

عليها جاسوس الـ « كى ـ جى ـ بى » من لندن .

وفور وصـول كار إلى واشنطن .. اصطحبه فيلبى إلى « التيمبـو » فى شارع « ى » حيث مقر الـ « سى ـ أى ـ إيه » وقدم الزائر رسمياً إلى هارى روستزك رئيس القسم السوفيتى فى الوكالة الأمريكية ..

وضعفت طبيعة الرجل الانجليزى المتحفظ إلى حدما عندما أدرك أن العضو المقابل له .. محب للانجليز بسخاء ، ومخلص أيضاً فى محاربة الشيوعية .. ونوى وانتوى كار ان يناقش ولكن فى خطوط عريضة عمليات في بولندا ، وأوكرانيا ، ودول البلطيق ..

وكلا الجهازيـن .. الأمريكى والبريطانى قد أسقط بـالمظلات فريقاً لـه فى أوكرانيا سنـة ١٩٤٩ ولكن اختفى العمـلاء وافترض أنهما وقعـا فى الأسر . وخططت الـوكـالـة الأمريكية سنـة ١٩٥٠ لستة عمليات إنزال وأملت الـوكالة البريطانيـة إرسال أكثر من فـريقين على الأقل ، ولم تتركـز الحاجـة للتعـاون على أى المجمـوعـات هى التى تتلقى المساعدة الغربية ولكن أيضا على مواعيـد المهمات والمناطق المستهدفة للإنزال . وتبادل كار وروستزك المعلومات السرية والفنية وكان هدفهما تجنب أى خلافات خطيرة .

وبنـاء على طلبهما .. دون فيلبى مـلاحظات للـرجـوع إليهـا مستقبلاً . وعنـدمـا استدعـى فيلبى .. كانت المنـاقشات السـائدة حول المناوشـات التى يقوم بها القـومى والأوكرانى « ستيفان بونديرا » .

وقد بدأت علاقة انجلترا مع بونديرا فى الثلاثينات عندما كان رئيس المنظمة القومية الثورية الأوكرانية .. واتصل به ضابط بالمخابرات البريطانية ومعه عرض محدد بوضع شبكته من « المخبرين » داخل الاتحاد السوفيتى تحت تصرف بريطـانيا ، وقبل بونديرا العـرض ولم تتلق منظمته مسـاعـدات ماليـة فقط ، بل مسـاندة من انجلترا .. وجـرت محاولات بث عمـلاء المنظمة القـوميـة الثوريـة الأوكـرانية من فنلنـدا وعبر الحدود إلى الاتحاد السوفيتى .

وكان ضابط المخابرات المسئـول عن تلك العمليات هو كار والذى أصبح وظل على علاقة مع بونديرا القومى المعادى بحماس للشيوعية .

وفى سنة ١٩٤٥ لم يعثر كار عن معلومات عن نشـاطات بونديرا فى حالة الحرب ، وكان غرضه الوحيد الذى سيطر على عقله هو مواصلة النضال ضد الشيوعية .

وفى سنة ١٩٥١ .. كان بعيدا عن الاحتمال أن يكون كار على علم بأن جماعة بونديرا قد ارتكبت فظائع أثناء المواجهة مع النازى ، أو يكون .. طبقا لمساعديه .. متعاطفا مع إجراء أية تحقيقات عن ماضى بونديرا وكان اهتمامه الجارف هو الحملة الراهنة ضد ستالين .

واعترف روستزك لأن اجتماع واشنطن مع كار بأنه « كان مهتاجاً ويفكر بما فى باطنى » وعلى أية حال فإن قلقه تلك المرة قد نحى جانباً وكان كار يثق فى الأوكرانيين أيضا بوضوح كما كان يفعل ماكبن مع أبناء البلطيق . وبدا أن المنفيين عناصر لها قيمتها .

ولم يكن أحد مستعداً للتفكير أن أولئك عناصر ضائعة .. فالكل مشبع بالتفاؤل بزرع العملاء فى قلب أكذوبة ستالين ..

وأبلغ كار روستزك أن بريطانيا نشطة فى منطقة البلطيق وتنوى زيادة نشاطها .. ولكنه ليس فى حلٍ .. لذكر التفاصيل لأن الأمريكان لم يكن لهم عناصر فى المنطقة ولاحاجة للتنسيق ..

وأعلن روستزك .. ننوى إرسال العملاء إلى ليتوانيا وأيضاً دون ذكر للتفاصيل .. وهل يمكننا تبادل الرأى على مستوى « المكتب » ووافق كار على قدوم قائد العمليات السوفيتية فى ميونيخ جورج سيلك إلى لندن للتشاور مع ماكبن .

وكان هناك قليل من التطبيع بين روستزك وكار ، قبل أن يعود ضابط المخابرات البريطانية إلى بريطانيا مسروراً برحلته وعند عودته .. عرض على أسرته « قائمة الطعام فى السفينة كوين مارى » وتعجب كل فرد ، عندما قارن تلك القائمة بذلك التقشف الصارم فى حياتهم اليومية ، وأن هناك تلك الوفرة من الطعام على متن السفينة البريطانية .

طار جورج بيلك إلى لندن من ميونيخ بعد ذلك بفترة قصيرة ، للقاء ماكبن وتبادل الخبرة فى أوروبا ، وكان هناك تخميناً بأن ستالين سيغامر أثناء انشغال أمريكا فى كوريا ويشن هجوماً مفاجئاً فى الغرب .. وكان بيلك يشعر بضغوط من واشنطن لبث العملاء فى روسيا ويحتاج إلى إعادة تأكيد على خططه . وكان يحترم وبلا أدنى خجل سمعة المخابرات البريطانية وإن أخفى ماكبن صراحة شعوره بأنه يمثل جهاز المخابرات الأكثر تفوقاً ، وكان الضابط البريطانى مضيفاً حميماً ودعاه الأمريكى إلى ناديه للغداء وإلى منزله للعشاء . ودهش بيلك عندما شاهد جهاز التليفزيون الدقيق فى

غرفة معيشة ماكبن . وإن كان يثق على نحو خاص بأن تلك الطوائف لاتمتد إلى إدارة المخابرات البريطانية ، ثم طرق موضوعاً عن بعض التطورات الحديثة فى ليتوانيا .

وقال الأمريكى : أدرك أن المخابرات الأمريكية تدير تقريباً كل العمليات فى البلطيق مع بعض مشاركة سويدية .. وبالطبع هناك المكتب الثانى (المخابرات الفرنسية) والتى احتكرت مجموعة VLIK الليتوانية ولكن هذا تغير ، فلقد انتهت تلك المجموعة إلينا وهناك بعض الحزن .

استمع ماكبن إلى بيلك وهو يتناول قصة حساسة والتى آثارها حديثاً زايمينس .

وفى يناير زار ميسنجور كروفيكس ، قائد جماعة VLIK واشنطن حيث وعده كبار موظفى الخارجية الأمريكية والبيت الأبيض لأول مرة بالدعم السياسى والمساعدة المادية للعمليات السرية . وقبل عودته إلى أوروبا التقى كروفيكس مع فيافدا وهو ضابط مسئول بالـ « سى ـ أى ـ إيه » وأكد له أن الوكالة ستزود الجماعة VLIK بالمال والمساندة .

وفى يونيو سنة ١٩٤٩ انتقل الكولونيل انتناس سوفا وأسرته إلى ميونيخ .. وهو القائد العسكرى للمجموعة .

بناء على دعوة من بيلك ، وكانت الوعود الأمريكية ممتدة .. « سنعطيكم المساعدات الكثيرة التى تطلبونها إذا جئتم معنا . ولم يكن هناك من حدود » .

وكان بيلك صادقاً فى مكمنه ، حيث عاش شوقاً واستقر فى مقر إقامة مريح وتحت تصرفه نقوداً لاحدود لها وقدم للوكالة الأمريكية ثمانية عملاء أكفاء اختارهم من جماعة VLIK للتدريب .

وفى الأسبوع الذى اندلعت فيه الحرب الكورية قُدم إلى بيلك منحة .. هى لوكاشا واثنين من الليتوانيين الذين غيروا ولاءهم .

وبعد ١٨ شهر من التدريب على يد المكتب الثانى رافقهم الجنرال شميتلن إلى قاعدة جوية عسكرية خارج باريس فى المرحلة الأولى لعودتهم إلى ليتوانيا .

وفى اللحظة الأخيرة .. ألغيت المهمة حيث فقدت الوكالة فريقاً مكونا من ثلاثة رجال أرسلوا من السويد إلى روسيا ، وشكت المخابرات الفرنسية فى خيانة أحد أعضاء فريق لوكاشا .

وكان ولاء لوكاشا للفرنسيين هشا .. وسرعان ما عرض نفسه على وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، وقبل بيلك العرض وكان لوكاشا مدرباً جيداً وله اتصالات طيبة وسط الأنصار الليتوانيين وكان فى « مفهوم » الـ « سى ـ أى ـ إيه » « جاهز للمهمة » وكانت تلك المشكلة التى شرحها بيلك إلى ماكبن .

وبأية حسابات .. فإن لوكاشا امتلك مكونات بطل من أبطال هوليوود .. فهو جذاب وشجاع ومخلص لعقيدته الكاثوليكية ولقوميته أيضا .وكان يقضى خمسة عشر دقيقة يوميا قبل جلسات التدريب فى الصلاة ، وكان تشدده نتيجة لخبراته ، مثل الكثيرين من أبناء وطنه .

وقد وقع عليه أبلغ الضرر بعودة الشيوعية والتهجير الجماعى وهرب مع آلاف الشباب إلى الغابات وانضم إلى « إخوان الغابة » لمحاربة الديكتاتورية .

وحينما ترك بحثاً عن المساعدة . كان يعذبه الغياب عن الكفاح ، وكان فى خطاباته التى أرسلها إلى خطيبته من مستشفى للأمراض الصدرية فى باريس ويعالج بها من مرضه ، ميلودراميا ولكن صادقاً قال « لاأستطيع أن أفهم لماذا أنا هنا وتركت الميادين الملطخة بالدم فى ليتوانيا ، محبوبتنا ليتوانيا التى تصلب وتتلوى من الألم وأتألم أننى لاأعانى نفس المصير والموت مثل الآلاف . أشعر بصرخات الجحيم وأحاول أن أرى الوجوه التى روعها الكابوس وبدموعى احاول أن أضىء مشاعرى ، ولكن أرى دائما الطرقات قد امتلأت بالأصدقاء الذين لحقهم الموت . وأتوق للحياة .. ولكن أبداً أريد أن تكون عظامى بجوار أولئك الأصدقاء المدافعين حقاً عن الحرية » .

حتما .. سيشتد كرب لوكاشا عندما يستمع عبر نافذة حجرة نومه إلى صوت النصارى مبتهجين « ضاحكاً .. مملوءاً بالسعادة ولامخاوف ولاأنين النساء الأرامل أن الأشياء تصبح ثمينة عندما تكون صعبة المنال » .

إن ضغط الإحساس بالعجز زائد عن الحد .. خاصة إذا كان يتعلق « بالدفاع عن قضيتنا » وأكره الناس الذين يساعدون بصمتهم على صلب أمتنا .

وعشية التحرك إلى ميونيخ زوجه كرويفيسكس عروساً تسمى « نيجولى » وكانت عروسه الزوجة الثانية ، الأولى ليتوانية وانفصلا بعد ستة « أيام عسل » والتقيا مرة أخرى . وقام بتلك المحاولة الصغيرة ليخفى حقيقته وحتى يوحى بأنه سيموت من أجل قضيته .

ولم يكن لدى لوكاشا شـــك من أن الـ « سى ـ أى ـ إيه » هى خلاصته . وقـــال : « أخيراً أنـا مع أناس يعتقـدون أننا نستحق الحريـة ، وهـذا مايـريده بـالضبط بيلك شخص ذكى مفعم بالمثل المخلصة ..

وأزعج لوكـاشا بيلك فى منـاقشاتهما بإقنـاعه أن شبكة المخـابرات البريطـانية فى ليتوانيا اخترقتها الـ « كى ـ جى ـ بى » .

وأخبر بيلك مـاكبن فى لندن فى يـونيـو سنة ١٩٥٠ بـالقـول : إن رجلنا يعتقـد أن ديكسنس قد تحول ، فماذا سمعت منه منذ عودته ؟

وتـوقع ماكبن السـؤال . لأن العداء بين المجمـوعـة الخاضعة لإشراف بـريطانيـا VLIK والتى يقودها ديكسنس ..

ووصلت ثلاث رسائل فى يونيو من بـريدس « مسئول ديكسنس » ومنذ وصولهم فى الأول من مايو .. حكموا على الجميع بالثقة .. ولكن الرابع كان محل شك .

وكانت الرسالة مجرد دعاية ووصلت متزامنة مع رسالة من بيبلس ، العميل الثالث فى المهمة يسأل فيها إذا كـانت المخابرات البريطانية تعلم مـلابسات اختفاء ديكسنس ، وفى الواقع .. أن ديكسنس وبـريدس ألقى القبض عليهما ولم يعرف شىء عن بـريدس ومن المحتمل أن يكون أعدم .. اما ديكسنس ، فربما ، يكون قد وافق على التعامل مع الـ « كى ـ جى ـ بى » .وبعـد أربعة شهور فيما بعد قتل بيبلس فى معركـة داخل الغابة مع الـ « كى ـ جى ـ بى » .

وفى لندن ، عرف ماكبن أن الـ « سى ـ أى ـ إيه » تمتلك أساساً معقولة للشك ، ولم تكن لديه النية أيضا بأن يكشـف للأمريكيين أن ديكســـنس فى إجابته على ســؤال « خدعه » تضمنه خطاب أخير قد فشل فى الاختبار .

ولايريد أن يعتمد ادعاء زايمنتس بأنه كان هدفا لمحاولة اغتيال فاشلة فى السويد .

وأخذ مـاكبن حكمه من زايمنتس ، الذى هو بـالمقام الأخير لايستطيع أن يشكك فى إخلاص وولاء أى شخـص .وأخبر ماكبن بيلك مـؤكداً « أننا على اتصـال مع ديكسنس وبينما هناك شكوك دائمة حوله فإننا نعتقد أنه أهل للثقة تماماً » .

وعاد بيلك إلى ميونيخ ليعيد التأكد والمصادقة على مهمة لوكاشا .

وقد اعتقـدت المخابرات الغـربية والمنفيون أن الأنصـار بالبنادق الآليـة وأجهزة الـلاسلكى إنما يشقون سبيلهم لـلإطاحـة بستالين . ومنـذ سنة ١٩٤٥ .. حث قـادة

المنفيين شعوبهم بالانتظار حتى تحين إشارة التمرد ضد الشيوعيين .

ووصل مئات المتوسلين من جماعات الضغط الممثلة لملايين المهاجرين فى أوروبا الشرقية إلى البيت الأبيض ووزراة الخارجية .. ويحثون بإصرار الساسة الأمريكان على الاعتقاد بأن هناك حركات خلف الستار الحديدى تتصدى للقهر السوفيتى ، وتحتاج إلى دعم .

وحمل الضغط الكونجرس إلى عقد جلسات استماع علنية سنة ١٩٥٠ عن « العدوانية الشيوعية » وكان الساسة فى طليعة من يحثون البنتاجون والـ « سى ـ أي ـ إيه » بمساندة الأنصار .

وعندما عاد بيلك إلى ميونيخ من لندن ، لم تكن الخطة أكثر ملائمة للمنفيين ليبرهنوا أن كلمتهم لم تكن من منتجات « مصنع الأحلام » .

ولم يتوقف أحد ليسأل أو يفكر أن سكان دول البلطيق مثل الأوكرانيين والقوميات السوفيتية الأخرى عانوا حرمانا لامثيل له واحتلالاً وحرباً لأكثر من عشر سنوات وأنهم مجهدون ومنهكون .

ولم يتلق بيلك ولا الآخران فى الـ « سى ـ أى ـ إيه » أى تقارير شهادة عيان مدعاة للثقة .. ولامواجيز استخبارية عن الاستراتيجيات الأخيرة للـ « كى ـ جى ـ بى » لضرب الأنصار ، ولاعن الزراعة الجماعية الإجبارية ، ولاعن الترحيل القسرى لعدد ٣٥٠ الف ليتوانى إلى سيبيريا . ومذبحة لآلاف الأنصار فى معارك قاسية ، وفضل بيلك أن يقبل زعم كوربفيسكس ، وسوفا .. بأنهم وهبوا معدة للقتال ، ولم يشك أحد فى ميونيخ فى حكمتهم ولم يتوقف أحد ليتأمل كم الوقت الذى تستغرقه عملية بناء مقاومة موثوق بها .. وشبكة جاسوسية خلف الستار الحديدى .

ولأن كل فرد ظن أن إطار العمل موجود وقائم . وفى نهاية اليوم .. عندما يجلس هؤلاء فى الفيلا المستولى عليها حول ميونيخ تبدو المحصلة مثبطة للهمة ، وذلك أن معنويات أكثر العملاء المخلصين والشجعان تتعثر .

وبيلك يتقدم ليلقى خطبة حماسية « إننا نحارب من أجل الحرية » وهو لاشك فى ذلك مخلص ، وتنتعش معنويات عملائه . ولكن لبعض الوقت فقط . ثم يتحول بيلك إلى سوفا ، وكوريفكس ليزودهم بالآمال والتطلعات وأن قضيتهم تستحق التضحية ..

وفى نهاية سبتمبر سنة ١٩٥٠ وصل خطاب من لوكاشا إلى زوجته نيجولا يخبرها فيه أن زوجها فى عشية الرحيل . وقال فيه : « إذا كان مصيرى أن أقتل ، فلتحلمى أننى سعيد حيثما أكون واجعل حياتك سعيدة .. لاننى سأصبح جزءاً من تراب وطنى والذى هو الآن مشبع بالدم » .

وفى الأول من أكتوبر سنة ١٩٥٠ ، لوح لوكاشا واثنان آخران بتحيات إلى بيلك .. والآخران هما بيندكتوس ترامس ، وباولوس سيرفاس . وهو مشغل جهاز اللاسلكى ، وحمل لوكاشا اسماً حركيا هو « سكرجانيوس » وسلم قائد الفرع مبسم سيجاره الفضى وابتسم ، وسار واثق الخطى إلى شاحنة منتظرة .. ولم يكن معهم بطاقات هوية ، ووافقوا على ذلك لأنهم لن يعودوا إلى الغرب . وبعد ست ساعات كانوا فى القاعدة الجوية الأمريكية فى فسبادان وكان هناك طياران جاهزان للتوجه إلى الشمال الشرقى بطائرة من طراز (س ٤٧) ستتوجه إلى منطقة الإنزال بالعملاء .

وكان الطياران قد سبق لهما إنزال اثنين من الأوكرانيين منذ عام مضى ولذا أتقنا إجراءات الإسقاط الآمن وطارا على ارتفاع مائتى قدم عبر الحدود الروسية ثم ارتفعا فى اللحظة الأخيرة إلى ٥٠٠ قدم وهو أدنى ارتفاع لإنزال بالمظلات وشعروا بالفخر لأن رادار العدو فشل فى التنبه للمقتحمين .

وبعد يومين من ذلك وفى ٣ أكتوبر سنة ١٩٥٠ ، وفى طقس حسن أقلعت الطائرة (س ٤٧) .. وأعطى كل عميل بخلاف المعدات عشر ساعات ، و٣ آلاف روبل وألفى جنيه استرلينى .

وهبط الثلاثة عملاء فى منطقة تورجيس بعد ثلاثين من السقوط من الطائرة ، وفى ظلام موحش .. وسمع سيرفاس زميله لوكاشا يقسم بأن كتفه جرح بينما ترامبس يلعن المظلة التى تحمل نصف معداتهم وأغذيتهم والتى اختفت ، وقرر لوكاشا بألم واضح « أن ظلام دامس ويتعذر علينا البحث ويجب أن نبتعد » ودفنوا بقية معداتهم وأمسكوا بالبنادق النصف آلية .. وكشف الفجر أنهم يبعدون مائة ميل عن منطقة الهبوط المقررة وبعد أسبوع فيما بعد ، اجتمعوا أخيرا مع رفاقهم من « إخوان الغابة » .

ولم تكن الأخبار مشجعة ، حيث أكملت فرقة من الجيش الأحمر زحفها عبر الغابة . وبعد سلسلة من المعارك الطويلة والقاسية قتل فيها مايقرب من مائة فرد من الأنصار

وكان الواقع قاسياً : فالحرب التى اشتعلت منذ خمسة أعوام على وشك أن تنتهى ، رغم أن الغابات لاتزال آمنة نسبياً .

وكانت أول رسالة شفرية تصل إلى ميونيخ ، سلمها لوكاشا إلى سيرفاس لإرسالها. لمن يرد فيها ذكر عن خسارة حرب . وكانت تقريراً فقط عن وصولهم الآمن .

وفشلت المحاولة الأولى من سيرفاس لنقل الرسالة فى ٢١ أكتوبر .. بعد أن تلفت بطاريات جهاز اللاسلكى بعد استخراجه من قرب منطقة الإنزال .. وبعد استخدام « مولد » جاءوا به على عجل كان سيرفاس متأكداً أن بث الرسالة فى اليوم التالى سيكون ناجحاً .

بعدما تلقى شكراً من ميونيخ عبر الجهاز واكتملت الدورة .. وخُبىء الجهاز فى غرفة فحم ، ووقف لوكاشا يكتشف حالة الأنصار واستقر سيرفاس فى مخبأ بالغابة فى حالة خاملة . ويستمع إلى الإشارات وجاهز لبث رسائل لوكاشا إذا طلب منه ذلك .

وقال جوردون ستيورات إلى فيافدا فى ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٥٠ : « إن الرسائل مشوهة » إن الخبير الليتوانى قد حصل على إجازة من أمريكا ليكون فى ألمانيا ، عندما فُجرت مهمة لوكاشا .

وانتظر مع رئيس الـ « سى ـ أى ـ إيه » فى مقر الإدارة فى « كارسروه » لاكتشاف النتيجة وهيجت أنباء ستيورات أعصابه وقال : « علينا ألا نراسلهم . كل المنظمة مخترقة . ديكسنس غدر بهم وخانهم » .

وفى ميونيخ قبل بيلك شكوك فيافدا باعتبارها مدعاة للثقة . وقال إلى الكولونيل سوفا: « من الممكن أن يكونوا قد اعتقلوا أو تحولوا » وصدم القائد العسكرى لجماعة VLIK .. إن المخاطر التى حسبت لها الوكالة كانت أكبر كثيراً مما يتخيل .. وصاح فى بيلك قائلاً : « من الجنون الاعتقاد بأنك تستطيع أن تبنى شبكة مقاومة بهذه الطريقة .. إنهم تستغرق سنوات إننى أعرف الروس » .

وبعد اسبوعين فيما بعد وصلت رسالة أخرى من سيرفاس وكان قد حصل على الاشارات الشفرية من لوكاشا عبر رسول .. ولكنه لم يعرف محتوياتها على وجه الدقة واعتقد سيرفاس أن ذلك يجزم بأن مأزق الأنصار أسوأ مما توقع وأضاف أنه لايوجد دليل على التعبئة الروسية ، وأقنع ذلك بيلك وفيافدا أكثر بالخيانة . وإذ يعتقد

البنتاجون والساسة بأن روسيا تعد للحرب ويرسل لوكاشا بالعكس .. وكانت هناك أرضية للشك بأنه إما اعتقل أو تحول .

وأعطيت مهلة إلى بيلك بالعودة إلى لندن ولم يكن هناك أى ملمح للبغضاء عندما أجمل بيلك شكوكه إلى ماكبن فى لقاء صريح فى برودوى ، ومرة أخرى أعلن على مخاوفه ان يكون ديكسنس خائناً ، ومرة أخرى أخبره ماكبن .. بينما هناك دائما شكوك .. فإن الوكالة البريطانية تثق فى ديكسنس .

وطار بيلك عائداً إلى ميونيخ وأعد تقريراً إلى واشنطن يشرح فيه شكوكه ولايقدم حلاً . وللمصادفة .. كان كار على وشك أن يصل إلى واشنطن لمزيد من المشاورات مع روستزك وكان الأمريكى قد أقنع بأن العملية الليتوانية تعرضت للخيانة من قبل عميل بريطانى وطالب اجتماع « مواجهة » وجهاً لوجه ورغم أن العمليات فى أوكرانيا كانت الأكثر أهمية فى جدول الأعمال .

وطبقا لقول فيافدا « فان مصداقية ديكسنس لم تكن مؤكدة » .

وسأل روستزك .. هل يمكن لأى شخص أن يخرج مرتين من روسيا بهذه السهولة ؟

وكان ذلك بالنسبة لكار « مجرد طريق آخر لترديد سياسات المنفيين التى تصيب بالضجر » .

إنها مجموعة VLIK ضد مجموعة VLAK وليست من شئون الجاسوسية فى شىء ، وكان فيلبى حاضراً الاجتماع مرة أخرى كسكرتير لتسجيل الجلسة .. عندما رفع البريطانى والأمريكى صوتيهما كل على الآخر .

وسأل روستزك : هل تعرف أى من تلك العمليات تحت السيطرة الروسية ؟

ورد كار : عملياتنا لا .

واشمئز روستزك وقال : كيف يمكنك ان تتأكد من أن عميلك ليس تحت السيطرة ؟

وأجاب كار : نحن متأكدون .

وقال روستزك : ولكن كيف يمكنك أن تتأكد ؟

وأجاب كار : لأننا قمنا باختباراتنا ومجموعتنا محكمة ضد الاختراق .

ورد روستزك : وكذلك نحن .. ولكن هناك مجموعة واحدة مخترقة .

ودافع كار : أعتقد أننا نعرف عملنا مع تلك الواحدة .

وكان فيلبى يدون فى عجلة المحادثة المتبادلة حرفياً . وكما ادعى فيما بعد أن المخابرات البريطانية والـ « س ـ أى ـ إيه » كانتا لهما دمى في البلطيق ولايمكن التوفيق بين الطموحات المتنافسة بينهما .. وهذا مالاحظته بين الجماعات المتصارعة وقتالهم المتكرر لأنفسهم . وفى إحدى المرات أصبح الموقف خطيراً مما استدعى أن يُرسل هارى كار خبير الشمال الأوروبى فى برودوى إلى واشنطن ومعه عرض يائس لإيقاف هذا العفن . وانتهت زيارته بكارثة حيث تبادل كار والأعضاء المناظرين له فى الـ « سى ـ أى ـ إيه » الأتهامات كل للآخر بالكذب بالجملة .. وهذا حق تماماً .. وكان ذلك على مائدة الاجتماع ..

ولم يكن فيلبى مدركاً لكل تلك المفارقات . رغم أنه عرف ديكسنس عميل المخابرات البريطانية منذ رئاسته للقسم (٩) .. ولكنه لم يعرف أن هذا الليتوانى كان تحت سيطرة الـ « كى ـ جى ـ بى » .

وأبلغ فيلبى المركز فى موسكو بمحادثة كار وشعوره النهائى حيث قال :« إن برهان صدقنا هو أننا نصعد من نشاطاتنا » وفى ديسمبر كان عميلان ليتوانيان على وشك الإنزال فى شاطىء بالانجا عن طريق كلاوس . وهما : الجيس ليخمانز وبول جاينزكاس ، وكلاهما ضابط لاسلكى مدرب ومن المقرر أن يلتقيا مع ديكسنس وبعد ثلاثين عاما فيما بعد عبر كار وبكل أسف ومرارة عن الحماقة التى لانظير لها ..

ولأن كار أبحر عبر الأطلنطى عند عودته إلى انجلترا .. ولم ير عناوين صحف نيويورك التى تبرر لحكمة إرسال فريق من العملاء .

وفى نهاية نوفمبر .. شنت الصين الشيوعية هجوماً مضاداً فى كوريا وفى الأسبوع الثانى فى ديسمبر .. قالت الصحف ، وكار لايزال فى البحر ، إن الجيش الأمريكى يتقهقر وتعمه الفوضى ..

وكان بعض الخبراء يتضاربون حول ضخامة الكارثة المفاجئة .. وأن حرباً محلية على الجانب الآخر من الكوكب تتحول الآن إلى هزيمة أمريكية كبرى . وماهى النتائج لذلك على أوروبا ؟

وبدت انتصارات الأعداء كاسحة : أوروبا الشرقية والصين أصبحت شيوعية

وهناك القنبلة الذرية الروسية وحتى فرنسا بدت الضحية الجاهزة للسقوط فى أسر الهيمنة الشيوعية .

وعلى قمة هذا كله ، كلاوس فوخس العالم الذرى والذى ذهب من بريطانيا إلى لوس انجلوس أثناء الحرب أصبح الآن متهما بالتجسس لحساب السوفيت وكان ذلك عند كار .. البرهان الأخير أن الشيوعية الدولية صار لها شبكة محكمة ، وفكر .. فى الحاجة إلى العملاء داخل الاتحاد السوفيتى حتى يحذروا المخابرات البريطانية عن أى هجوم وقائى .

وفى لندن ، كان ماكبن وثلاثة ضباط من البلطيق يجندون وبكل مافى طاقتهم .. أبناء البلطيق للتدريب .

وفى منزل .. فى غرب لندن كان الشباب الليتوانى يحتل هذا المنزل وقد أتوا إلى بريطانيا كعمال زراعيين تحت مظلة مشروع « ويست وود هو » .

وعملوا بعد ذلك فى أعمال النقل بلندن وبعدما يفرغون من الشراب فى الأمسيات .. كان الموضوع المفضل لديهم للحديث هو إمكانية حرب عالمية جديدة تهزم الشيوعية ، وكان من بين العمال .. ليتوانيان كبار فى السن كانوا جنوداً وعمال خدمات مدنية وسياسيين فى عهد الدولة المستقلة قبل الحرب .

ومن الطبيعى والمنهجى ، أن يكون هؤلاء هم هدف المخابرات البريطانية حيث يلائمون أهدافها تماماً .

وكان زيجماس كوديركا يبلغ ٢٤ عاما واغتصبه الألمان من المدرسة سنة ١٩٤٤ هو وكل الفصول الدراسية وأجبروا على السير غرباً وحفر الخنادق للقوات المتراجعة . وكان الكريسماس لسنة ١٩٥٠ المناسبة الأولى منذ إطلاق سراحه التى يفكر فيها فى مستقبله والهجرة إلى كندا حيث يمكن أن يتخرج من الجامعة وعندما أجلى جيش الحلفاء من سول وهُزم فى الشرق الأقصى ، دُعى كوديركا واثنين من اصدقائه لزيارة مكتب الكولونيل سيتكوس وهو ضابط ليتوانى وقال لهما عند مستهل استقباله لهما : إن الحرب مؤكد أنها ستندلع فوراً فى أوروبا ، وستتحرر بلادنا ونريد متطوعين للالتحاق بجيش الأنصار فى ليتوانيا ولمساعدة بريطانيا فى القتال من أجل حريتنا .. فلابد من الانضمام للمخابرات البريطانية .

وتعجب كوديركا ، رغم ذكائه إلا أنه عامل نقل وقال : ليتوانى يصبح عضوا فى المخابرات البريطانية .

وقال لـه الكولـونيل : من أجل بـلادك ، وهناك مكـافآت ستمنح خمسـة جنيهات أسبوعيا عن كل الفترة التى تكـون فيها بالخدمة ويعدونك أيضا بـالجنسية البريطانية عندما تفضل العودة إلى بريطانيا .

وقبل كـوديركـا العـرض على الفور ، ودفعـه اليأس والحاجـة إلى المال والفرصـة الحصول على جنسية لإكمال تعليمه بالجامعة .

أما الآخران فلقد حركتهمتا دوافع وطنية أيضا وبعد أسبوعين وصلا إلى المدرسة فى ١١١ شارع أولد تسارش .

وكـان الكـولونيل الفـونس ريبـان ضـابط أستـونى سابق يعمل بهمـة ونشـاط ومساعـدة فيانو بـارتل ومعه خمسين من العـاملين فى المناجم وصناعـة الغزل .. تمت دعـوتهم إلى السفارة الاستـونية للقـاء قائدهم القـديم فى لندن ، وكـان ريبان واسمـه الحركى روبرت ، قد عمل فى معمل للنسيج وكـان ذلك يمثل انحطـاطا وظيفيا بالنسبة له .

ولكن لشجاعته الشخصية وكبطل حربى .. دفع بـالمخابرات البريطانية أن تعرض عليه العمل معهـا . وهو الآن يشرب زجـاجة سكوتش يـومياً على الأقل ويلعب البـوكر طوال الليل ، وفى الأسابيع السابقة على الكريسماس أعطى قواته حديثا مفعما بالحيوية مؤكداً أن بداية الحرب العالمية الثالثة قد حانت وهناك حاجة عاجلة لاتصالات لاسلكية مع المحطات السرية فى الوطن للاتصال بجيـوش الحلفاء عندما يشنون الهجوم ، وكان ريبان فى نظـر مستمعيه نصف إلـه ووطنياً صـادقاً لايشق لـه غبار . وفى نهايـة سنة ١٩٥٠ عثر على أربعة متطوعين ، وفى ٢٤ فبراير سنة ١٩٥١ كان العدد ستة ويتدربون فى شارع أولـدتسارش . ودعى الستة إلى منـزل السفير أوجست تورمل لاحتفـال بعيد استقلال استونيا ، وتحدث ريبان وتـورمان فى ذلك الحفل وقال ريبان للسفير بصوت هـامس : « عن الصراع القـادم والحرب التى على وشـك أن تنـدلع وأضـاف : فلتسجل كلماتى » .

وفى غابـات لاتفيا ، وفى أثنـاء شتاء سنـة ١٩٥٠ وحيث بدأ الشتـاء وبدأت تـؤتى مفعولها على العميلين البريطانين بيركس وجالدنز ، وتبعه الصيف بالناموس والبراغيث مصاصة الدماء .

وفى نـوفمبر همت الحشرات القذرة لانخفـاض الحرارة إلى ما تحت الصفـر والتى نادراً ماترتفع إلى درجة خمسة عشر تحت الصفر .

وكـان الحياة فى أدغـال الغابـات شيئاً قـاسياً على رجـال المخابـرات البريطانيـة والأنصار .

وأرسل بيركس إلى مـاكبن رسـائل تفيض بالشكـوى من القلق الجسمانى الـذى يعيشون فيـه . وإن وجدت بعـض اللحظات المريحة عندمـا حصل الأنصـار على مؤن خاصة من الطعام من الفلاحين المحليين ، ولم يشهد بيركـس ولا جالدنز الطريقة التى يجلب بها الأنصار تلك المواد التموينية . وإذا كـان أحدهما قد تجرأ وخرج من المعسكر الآمن ، فلسوف يـدهشان عنـدما يكتشفـان أن جاليتس يلتقط الطعام مـن مكان خفى تحت شجرة ضخمة والذى تأتى به سيارة بلا أرقام قادمة من ريجا وكان هناك حادثاً مثيراً أيضا .. عنـدما التقى بيركس وجالدنـز مع فرقة أخرى من الأنصـار واتفقوا على اللقاء مرة أخرى بعد أربعة أيام وقد ألغى الموعد بناء على توصية جاليتس « لأن ذلك يعد عملاً خطيراً » ومـن غير المعروف لعمـلاء المخابرات البريطـانية : أن آخـرين قـد التقوا بجماعة الانصار وأرسلوهم بعد التحقيق إلى سيبيريا .

وبدأ بيركس يشكو إلى لندن بانتظام عن نقص المال ، فجماعة الأنصار التى يعيش معها تعتمد عليه . ولاتزال لندن تشك ولم ترد على طلبه وفى الغابة ، عرض جالتيس حلاً .. فهناك « صراف بنك » معروف عنه أنه يمتطى حصانا فى طريق معزول قرب الساحل ، ومن الممكن السطو على النقود التى بحوزته .

ووافق بيركس ، وانتظر أربعة من الأنصار ومعهم العميلين البريطانيين ليوم كامل حتى يظهر الصراف المسلح .

وأمكن السطو عليه بنجاح . وكتب بيركس فى خطاب إلى لندن كان علىّ أن اشارك فى عملية السطو .. والتى عـرضت كل العمليات للخطر وكان يمكـن أن تتعقبنا قوات الأمن السوفيتية .. وخشية أن تتعقب الكلاب السوفيتية أثر مرتكبى حادث السطو .. نصحت المخابرات البريطانية جالدنز بألا يظهر من مخبأه إلا لأمتار قليلة .

وفى ريجا سجل لوكاسيفكس فى سجلات العملية « السطو على ١٢,٨٣٣ روبل » فى العملية التى دبرهـا بعناية ولاحظ أن تلك الخدعة يمكن أن تعجل بلندن لإرسـال مزيد من العملاء .

وبينما انتظرت الـ « كى ـ جى ـ بـى » وتعجبت لصمت برودوى ، شرب بيركس كميات من الفودكا حتى يتغلب على المناخ القارس البرودة ، وعندما أوشكت الفودكا على

النفاذ كان يحتسى الكحول .. ورغم الإفراط فى الشراب ظل بيركس قناصاً ممتازاً .

وبينما بيركس يرقد فى مرضه .. متجمداً من البرد .. ولا يشكو ، واصل مشغل اللاسلكى الذي دربه وهو كيبورس .. نقل الرسائل إلى برودوى .. وفى مارس سنة ١٩٥١ . أبرق جابريل .. ساليرجاس بأن فريقاً من العملاء سيصل قريباً . وابتهج بيركس وجالدنز وقالا لجاليتس .. إن لندن تثق بوضوح فى عملهما . واحتفلوا بالمناسبة ، واتفقوا أن يبحث جاليتس عن مزيد من الطعام .

وعندما وصلت الأنباء .. أحس لوكاسيفكس بالسرور ولكنه لم يندهش لأنه سمع تلك الأنباء من لندن . لأن مشغل اللاسلكى التابع للمخابرات البريطانية ، كان عضوا فى الـ « كى ـ جى ـ بى » وقد جُند لحساب المخابرات البريطانية فى معسكرات الاعتقال الألمانية على يد جون رانسوم ضابط المخابرات البريطانية الذى ألحق بالقسم الفنى فى لجنة الرقابة البريطانية .

وفى أثناء الإعداد النهائى فى إبريل سنة ١٩٥١ لإرسال أربعة عملاء إلى لاتفيا ، وصل إلى لندن ستة ضباط من الـ « سى ـ أى ـ إيه » للقاء لمدة ثلاثة أيام مع كار وضباط آخرين فى المخابرات البريطانية وكان جدول الأعمال هو مراجعة وبحث كل العمليات الأنجلو ـ أمريكية فى روسيا والبلدان الدائرة فى الفلك السوفيتى .

ويقود الفريق الأمريكى روستزك ، وكان مقرراً أن يذهب إلى ميونيخ فى مهمة عمل كرئيس للقاعدة « التابعة للـ سى ـ أى ـ إيه » بدلا من شارلى كاتيك . وقد ترك خلفه فى واشنطن ، مدينة وقعت فى قبضة البارانويا « داء العظمة » .

وكانت المحاكمات قد بدأت مع جولدويوس وروزنبرج لاتهامهما بتسريب أسرار ذرية إلى الروس .

وفى الكابيتول ، كان السناتور ماكارثى يشن حملة تفتيش ضد الشيوعية والتى أراد اجتثاثها من المجتمع الأمريكى .

وفى المقابل لم تتلق الإدارة الأمريكية أى معلومات ذات قيمة من داخل روسيا .

وكان الحضور غير المرئى للخطر الشيوعى القادر على كل شىء هو المستقر فى داخل كل ضباط الـ « سى ـ أى ـ إيه » الذين وصلوا إلى برودوى فى إبريل .

وصحب فيافيدا .. روستزك والذى أقنعه أن ديكسنس خانه ، ولو كان تحت

السيطرة السوفيتية . وتحت إلحاح الرغبة فى مواصلة العمليات .. طلب منه أن يعيد فحص الحقائق ، وكانت رسالة خامسة قد وصلت حديثا من لوكاشا يطلب فيها إرسالاً عاجلاً لفريق جديد يشتمل على ضابط اتصال سياسى لتشجيع الأنصار .

وعارض فيافدا إرسال المزيد من البعثات حتى يقتنع بعدم وجود اختراق سوفيتى .

وأصر بالقول أنهم يرسلون ديك رومى بارد بدلاً من حقائق راسخة . وطلبت واشنطن الدليل على أن روسيا تحشد قواتها ، وطلب البنتاجون أماكن توزيع الفرق العسكرية وتحركات عربات السكك الحديدية ومخرجات الانتاج الصناعى والنشاط الجوى .

وانتهى فيافدا إلى القول .. إن المخابرات السوفيتية فقط هى التى ترسل لنا هذا اللغو الفارغ عن الوطنية ومشكلات حرب الأنصار .

وقال فيافدا إلى روستزك : « دعنا نأمل في الرب .. وهما يقتربان من برودوى .. وسيكون مفيدا أن نتعلم من البريطانيين شيئاً » .

وعندما بدأ الاجتماع .. وتبادل الطرفان التحيات الخاصة والحديثة عن العلاقات الودية بين البلدين والجهازين .

وقال كار : إلى العمل ..

وبدأ روستزك الحديث بالقول .. هارى ، ومؤكداً على خطورة هدفهم « إننا نبحث عن تبادل صريح وواضح للرأى ، ودعنا نقارن الملاحظات والمذكرات ونرى إذا كانت هناك مشكلات بوجه عام .

وعرض كار لعمليات المخابرات البريطانية ولم يذكر شيئاً لم يكن معروفاً ، بإستثناء واحد أن هناك مزيداً من العملاء على وشك الأنزال .. وهذا الشىء الوحيد الذى كشف عنه . وتوضيحا للحذر والسرية فاننا لن نعرض رجالنا بالكشف عن منطقة الإنزال المحددة ولاتوقيت الوصول ، ونحن مهتمون مثلكم تماماً فى أن نكون حذرين .. ولم يكن كار محدداً فى حديثه .. وأدرك الأمريكيون أنه يعطيهم مسكنات بدلاً من إشراكهم فى الأسرار ، وبنهاية الصباح وافق كار على أن يكون لدى فيافدا موجز كامل من ماكبن عن النشاطات فى ليتوانيا .

وأوقف الاجتماع للغداء ، وانتهى بعد الظهر متأخراً ولم يكن هناك مزيد من العمل

فى ذلك اليوم .

وفى صباح اليوم التالى ، التقى فيافدا مع ماكبن وانجذب إلى الرجل الذى كان مواطنا بلطيقياً أكثر من كونه انجليزى ، وقال فيافدا لزميله .. « لقد كنت على نفس الموجة » وبعد جلسة عمل والاطلاع على ملفات ماكبن .

دُهش فيافدا لجدية ماكبن وإحساسه بالمسئولية وقد وعد ماكبن بتقديم تقييم وتقدير موقف لحركة الأنصار فى لاتفيا فى موعد لاحق إلى الـ « سى ـ أى ـ إيه » . وتوقفوا للغداء ووافقا على اللقاء على العشاء فى تلك الليلة .

ولم يكن روستزك وكار راضيان عن الاجتماع فى ذلك اليوم وقد اقتنع « ضابط الخدمات الاستراتيجية » فى ميونيخ وواشنطن بأن المخابرات البريطانية لها علاقة وثيقة مع ستيفان بنديرا القومى الأوكرانى والذى كان يخرب جهودهم فى تجنيد وإرسال العملاء لمساندة حرب الأنصار فى جبال .. الكاريبى .. وأماكن أخرى .

وادعى الأمريكان أنهم يخظرون استخدام النازيين ومجرمى الحرب ضد الشيوعيين فإن سجلات باندیرا المروعة عن تعاونه مع النازى أثناء الحرب ، إنما كانت عملاً مضاداً على نحو إيجابى ولايوجد برهان كاف أنه قاد أى دعم للنازى فى أوكرانيا .

وقدتدعمت حجة الأمريكيين بتحذير رئيس المخابرات الألمانى السابق رينهارد جيهلين والذى أصبح مستشاراً دائما للأمريكان ..

والذى حذرهم من باندیرا ومنظمته داخل روسيا مخترقة بكل الاحتمالات وقال أحد الضباط الأمريكيين « إننا نصطدم بعقبات فى علاقتنا مع الأوكرانيين ، وبسبب دعمكم لبونديرا » وكانت ثقة كار فى بونديرا الذى يعرفه منذ خمسة عشر عاما تقريبا وإزدرائه للأخبار الجديدة من واشنطن حملته إلى رفض أية محاولة من قبل الأمريكيين ولذلك المؤتمر لتحطيم العلاقة .

ومن بين الذين صعدوا إلى الطائرة فى ميونيخ « دافيد ميرفى » ضابط المخابرات العسكرية فى زمن الحرب فى الشرق الأقصى ، ثم فى برلين ، وميرفى وصف ذاته مرة أنه شخص وسيم دائما ومتردد دائما ومخطىء دائما ، كان عليه أن يدير مركز التدريب الروسى للأوكرانيين ويحل بيلك رئيسا للعمليات السوفيتية .

وكان الطموح فى التوسع فى العمليات من قبل المدير المعين حديثاً للعمليات الأمريكية فى واشنطن آلان دالاس . والذى كان مولعا وعلى ثقة كبيرة فى العمليات المغطاة

والطعن من الخلف ، وقد بث دلاس فى مساعديه مفهومه عن تلك العمليات وأنها الضمان الحقيقى لنجاح الجاسوسية .

وكان يشارك المخابرات البريطانية فى الاعتقاد بأن هزيمة الهيمنة الشيوعية تتم عن طريق إثارة ومساندة التمرد القومى داخل الاتحاد السوفيتى .

وكان انجيل هذا المبدأ .. لتوجيه مجلس الأمن القومى الأمريكى رقم ٦٨ والتى كانت مواده والتى تنتمى الآن إلى الذكريات هى التى زودت المؤمنين بترانيم شن الحرب الباردة ، وقال التوجيه : إن الاتحاد السوفيتى لايماثل أى من الطامحين إلى الهيمنة فى السابق وإنما مسلح بمبدأ متعصب ، وعلى النقيض تماما من مبادئنا ، ويسعى الاتحاد السوفيتى إلى فرض سلطته المطلقة على بقية العالم .

ويدعو المخطط السوفيتى إلى الهيمنة الكاملة ، وتدمير آلة الحكومة وبنية المجتمع بالقوة فى بلدان العالم الأخرى غير السوفيتية وإقامة أجهزة وبنى خاضعة ويسيطر عليها الكرملين .

وإلى ذلك الهدف .. تتجه جهود الاتحاد السوفيتى الآن نحو الهيمنة على الأرض الأوروبية والولايات المتحدة باعتبارها مراكز القوة الرئيسية فى العالم غير السوفيتى ، والاتحاد السوفييتى هو العدو الرئيسى الذى يجب تحطيم تكامله وحيويته وإخضاعه بوسيلة أو بأخرى اذا أن الكرملين على وشك إنجاز مخططه الأساسى .

وللتصدى وهزيمة الحركة الثورية على نطاق العالم كله ..

زاد مكتب الخدمات الاستراتيجية ومكتب تنسيق السياسات عدد العاملين به إلى ١٤٠٠ ضابط . وفى ظل عاصفة النشاط المحموم . كان من الصعب على العاملين فى ميونيخ الحكم أيهما ميرفى أم روستزك .. واسم الجديد .. « هارى الوردى » الأكثر فاعلية والأكثر عملاً بجدية والأكثر تعصباً ولكن كان الميزان يميل عادة لصالح ميرفى .

وكان ميرفى قد وضع نفسه فى منافسة مع ميشيل بارك . رئيس وحدة تنسيق السياسات المحبوب والخطير أيضا فى ألمانيا والذى وقع فى شرك عملية ألبانيا ..

وقد خدم بارك فى المخابرات الأمريكية خلف الخطوط أثناء الحرب العالمية الثانية ، ولم يكن ميرفى كذلك له تلك الحنكة التى لدى بارك .

ولكن سعى إلى التنافس مع تلك الأسطورة .

وكان ميرفى يرى أنه لافرق بين الألمان والروس ، فهما أعداء يجب هزيمتهما .

وفكر ميرفى فى أن تياراً من الهواء الساخن يمكن أن يطيح بالروس ..

وفى أبريل سنة ١٩٥١ .. عندما طرد الجنرال ماك أرثر من الخدمة كقائد للقوات المتحالفة فى كوريا والمقاتلة فى أسيا التى وصلت إلى وضع حرج وقاسى .

فان أحدا لن يسأل ميرفي عن تقديراته بإرسال مزيد من العملاء وأرسل فريق الـ « سى ـ أى ـ إيه » الثانى علي وجه السرعة إلى ليتوانيا .

وأنشىء القسم اللاتفى على يد بيلك تحت مسئولية أمريكى من أصل لاتفى وهو بول هارتمان وكان مسئولا عن المجىء بفريق المجندين المدربين من السويد بقيادة فريد لانجس ويجعلهم فى حالة « استعداد للمهمة » ، وكانت هناك عمليات إضافية فى كل منطقة من الاتحاد السوفيتى وكان ميرفى مستعداً لاستخدام العملاء الروس البيض دون اعتبار لعلاقتهم بالنازية .

وكان يرى أن تلك بداية مواجهة عالمية جديدة .. وكسب الحرب يتطلب المخاطرة .

وبعد خمس سنوات فقط من الحرب العالمية الأخيرة (الثانية) لم يكن من العادى أن تتوقع رجالاً يموتمون لأجل أى قضية ، وتتطلب التربية الجديدة لضباط المخابرات أن ينافسوا ويتفوقوا على شجاعة وبسالة مكتب الخدمات الاستراتيجية .

وعمل الضباط السباق بالمخابرات ليل نهار وخططوا ووضعوا البرنامج وأصدروا الأوامر حتى يقيموا شبكة عملاء داخل إمبراطورية ستالين .

عملوا أربعة وعشرين ساعة فى كل أيام الأسبوع .. وضحوا بالأجازات والنوم .. ويقود هذا الفريق ميرفى ويشجعه روستزك وبحثت مجموعة العمليات الروسية عن الوسائل للحصول على المعلومات .. وكانت مشاعرهم بدائية وكثيفة .. مما سيجعل الكثير منهم يعانى بعد ذلك من مشكلات ذهنية .

وكان الموضوع الوحيد الذى يشغلهم هو التأكيد للبنتاجون أن لهم عيوناً خلف الستار الحديدى .

ولم يشك أحد فى أنه من الممكن إنجاز المطلوب .. ولقد كانت المعادلة بسيطة ..

أموال + جهد = النجاح ..

وقال ميرفى ساخراً .. إلى روستزك : « إنه مجتمع فلاحى .. إنهم مجرد فلاحين ونساء فى عربات تجرها الخيول » ولامشكلة لدينا .. ولم يوقف أحد ليسأل إذن ماالذى نخشاه ؟

وكان ميرفى يتفوق فى دور « الموجه » والناصح .

وكان فرانك ليندس نائب رئيس مكتب تنسيق السياسات . والذى انشغل فيما بعد فى عدد لايحصى من العمليات فى أوروبا الشرقية ، بمافى ذلك ألبانيا .. ولأسباب مهنية وطموحات شخصية يريان أن النجاح يعتمد على إرسال العملاء عبر روسيا ، وكانت بواعثهما وطنية وكان محركهما « المهارة فى اللعب » .

ولايمكن لأى شخص أن يتخيل أن جهاز أمن مجتمع سيكون أكثر فعالية من جهاز المخابرات الألمانية والذى كان يقدم المعونة والمساعدة فى شخص رينهارد جهلين والتى قبلها الأمريكان شاكرين ..

وكان الإنزال فى ليتوانيا .. أُعد ليكون فى ١٩ أبريل وفى وسط الفترة الانتقالية ، واختفت السرية فى غمار الاحتفال مع تمنيات الحظ الطيب للفريق الثانى .

ورغم أن قائد هذا الفريق .. جولى نوس بيوتانس خشى من العاقبة ، وانفجر فى الدموع فى مرات عديدة قبل الرحيل .. وأسقط ومعه جوناس كوكاسكاس .. مشغّل اللاسلكى .ونزل الرجلان فى منطقة محدودة فى الغابات ودفنا المعدات واتصلا بمجموعة من الأنصار .. واجتهد بيوتانس للعثور على لوكاشا بينما صحب واحد من الأنصار كوكاسكاس إلى سيرفاس ، حيث خبأه فى مخبأ بالغابة .. وعندما انتهت التحيات العاطفية ، فصل سيرفاس الظروف القاسية التى عاشها فى السنوات الأخيرة . وكل شخص هنا يرتعد من الروس . ولهم عيون فى كل مكان والحياة فى توتر دائم .

وكان لوكاشا الذى لم يقابلوه منذ وصولهم ، كان فى مأمن ويعمل فى منطقة أخرى .

ونقل كوكاسكاس ومرشده إلى مستودع للفحم داخل سفينة بينما ظل سيرفاس وثلاثة أصدقاء ينتظرون انتهاء القادم الجديد من دفن معداته .

وفى أثناء عودتهم فى اليوم التالى ، حذرهم فلاح بأن هناك إطلاق كثيف للرصاص وانفجارات فى الغابة .. وهرب الأربعة وعادوا بعد أسبوعين ليكتشفوا أن مستودع الفحم

قد دمر وأن المرشد مات وكوكاسكاس ألقى القبض عليه ، وكان سيرفاس على يقين أنهم وقعوا ضحية خيانة زوجة الفلاح ..

وتدفقت سلسلة النتائج بسرعة ، وفور اغتيال كوكاسكاس .. خضع للتهديد بالتعذيب ووافق على التعاون .

وفى الغابة .. لم يكن بياتنس يدرى عن اعتقال زميله وحاول الاتصال مع لوكاشا وكان يعتمد فى ذلك على الأنصار الذين خانوه وغدروا به أيضاً .

وبعد أسبوعين أحاط رجال الـ « كى ـ جى ـ بى » بمخبأ بياتنس فى الغابة .

ولكى يهرب من الأسر ابتلع بياتنس قرص سيانيد .

وبينما يستخدم رجال الـ « كى ـ جى ـ بى » كوكاسكاس صنيعة لهم .. رتب لقاءً مع لوكاشا .. وشك القائد « الأنصارى » ولكنه يجهل مصير بياتنس وزميله ، وجاء فى الموعد المحدد وبعد أن أمر حراسه بإطلاق الرصاص إذا كان الاجتماع شركاً ومصيدة .

ولم يكتشف قبره المجهول .. ولم يعلم أحد بتضحياته على نحو واضح ..

وفى نهاية إبريل .. كان سيرفاس وحيداً وجهاز اللاسلكى الذى بحوزته مخبأ فى غرفة الفحم داخل « السفينة » المحطمة ، بفعل تفجيرات الـ « كى ـ جى ـ بى » ، ولكنه استطاع الوصول إلى جهاز بياتنس بعد اكتشافه فى منطقة الإنزال . وفى أول محاولة لبث الرسائل إلى ميونيخ أدرك أن الجهاز تالف ولايقبل الإصلاح .

وقال لجماعة الأنصار : « لقد انقطعنا عن الاتصال » وسأكتب رسالة شفرية على عنوان سرى ، وأحيطهم علماً وأحذرهم من مشاكلنا .

وفى ميونيخ وفى الأول من مايو .. عرف ميرفى وفيافدا أن المهمة قد فشلت . ووصلت المزيد من الرسائل الشفرية من ليتوانيا ولكن محتواها كان لغواً وطنياً فارغاً ، كما نعتها بذلك فيافدا وثبت أن المرسل تحت السيطرة .. ولم يكن معروفاً إلى سيرفاس أن الـ « كى ـ جى ـ بى » قد استخرجت جهاز اللاسلكى من المخبأ .. فى غرفة الفحم ، وقامت بالانفجارات فى الغابة لتغطى على فعلتها . واستخدمت كوكاسكاس لبث الرسائل الشفرية إلى ميونيخ ، وكان قصدهم .. تشجيع الأمريكان على إرسال مزيد من العملاء وانفجرت شكوك فيافدا على شكل وابل من الشتائم موجه إلى ميرفى شخصيا وقال : « إنه خطير جداً .. لابد من إعادة التفكير فى كل العملية » ورد ميرفى : « إنك عاطفى جداً .. وعليك العودة إلى الولايات المتحدة » .

وفى ذلك الأسبوع .. ترنح فرع البلطيق وسط الاتهامات والشعور بالذنب ، ووصلت الأنباء من لندن بأن اثنين من كبار موظفى الخارجية البريطانية وهما دونالد ماكلين ، جى بيرجس قد اختفيا وبعد سنوات من التحقيق الدءوب برهنت المباحث الفيدرالية لوزارة الخارجية أن ماكلين كان جاسوساً سوفيتياً .

وفى نهاية الشهر طلبت المخابرات المركزية استدعاء فيلبى ضابط الاتصال بالمخابرات البريطانية فى واشنطن إلى بلاده .

وكان فيلبى هو المخول سراً بتقديم البرهان ضد ماكلين وقد شك فى أنه سيغرر بزميله وقرر الهرب ، ووضح لميرفى وروستزك أن سبب الكوارث السوفيتية واضحة وبينة من تلقاء نفسها . وأضاف فيافدا « أن هناك مثلا ليتوانيا ينطبق على هذا الموقف يقول : أشعر أننى ضربت مثل ذبابة » لقد غدر بنا البريطانيون .

وشارك القليل فى برودوى الأمريكانى فى شكوكهم فى فيلبى .. ورفض مينزيس ورجاله الادعاءات بأن زميلهم المحترم « خائن » ومن بين الأقلية التى قبلت سنة ١٩٥١ الدليل الأمريكى .. نائب مينزيس وهو قائد الجو جيمس ايستون والذى أرسل إلى فيلبى خطابا .. تسلمه باليد .. يحذره فيه من الاستدعاء الوشيك له إلى لندن . وأصبح ايستون مطروداً لأنه تجرأ واعتقد بسوء أحد عناصر المؤسسة الموثوق بهم .. وعاملوه على أنه من الخارجين على المؤسسة .. وأخرجوا ايستون من المناقشات المطولة حول معالجة أمر فيلبى .

وانتمى كار وماكبن إلى الأغلبية الساحقة التى اعتقدت فى البدء ببراءة فيلبى ، وعرف فيلبى من موقعه كضابط اتصال المخابرات البريطانية فى واشنطن تفاصيل عن عمليات الإنزال فى أوكرانيا والتى ظلت المخابرات الأمريكية عن عمد لاتعلم عن عمليات المخابرات البريطانية فى البلطيق . ولذا تسرب القليل بشأن تلك العمليات من مكتب فيلبى .

وشعر كار وماكبن بالامتنان إزاء الأمن المحكم الذى أحاط بمجموعة العملاء الذين هبطوا إلى لاتفيا .. ولم يتمكن ذلك الجاسوس المرعب من تعريض العملية للخطر .

ووصل الرجال الأربعة بدون إعلان .. مع تحذير باتباع أقصى درجات اليقظة والحذر قبل وبعد الاتصال بمجموعة « ماكسس » .

* * *